

سُوْلَةُ النَّزَرِ



النَّزَولُ: مكية.

المَقَاصِدُ:

- ١ - تقرير عقيدة التوحيد، وتأكيدها.
- ٢ - التنويه ب شأن القرآن الكريم.
- ٣ - إبطال عقيدة الشرك، والرُّدُّ على شُبَهِ المشركين.
- ٤ - إثبات البعث بالمثال، والجزاء يوم الحساب؛ لتجزى كل نفس بما كسبت، بعدلٍ لا ظلم معه.
- ٥ - بيان عظمة الله ﷺ في قدرته على تنظيم كونه وقبضته، مما لا يَصِحُّ أن يُشْرِكَ معه غيره.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ أَنَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾١ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْصِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا إِنَّهُ الدِّينُ الْمُحَالُصُ وَالَّذِينَ أَنْهَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَاءِ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بِمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِيبٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَخَذَ وَلَدًا لَأَصْطَطَفَنَّ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَحْدَهُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ أَلَيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى أَلَيْلٍ وَسَخَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَجْرِي لِأَجْكَلٍ مُسْكَنٌ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٥﴾﴾

التفسير:

١ - ٢ - تنزيل القرآن الكريم إنما هو من الله العزيز في قدرته وانتقامه، الحكيم في تدبیره وأحكامه، فقد أنزلنا إليك - يا محمد - هذا القرآن يأمر بالحق والعدل، فاعبد الله وحده، وأخلص له عبادتك ودينك.

٣ - فإن الطاعة التامة الكاملة والসالمة من الشرك لله وحده. فأماماً الذين أشركوا مع الله غيره واتخذوا من دونه أولياء وقالوا محتجّين: ما نعبد تلك الآلهة مع الله إلا لتشفع لنا عند الله، وتقرّبنا منه، وترفعنا عنده منزلة، فقد كفروا بهذه المقوله؛ لأنّ العبادة والشفاعة لله وحده والله لا يرضي بأن يُشرك معه غيره، فبطلت تلك الشبهة. إنَّ الله لا يُوفّق للهداية إلى دينه منْ هو كاذب على الله، جحودٌ بآياته ورسالاته.

٤ - لو أراد الله أن يتّخذ ولداً لاختار من مخلوقاته ما يشاء، واصطفى

مَنْ يَرِيدُ تَنْزِهَةً وَتَقَدُّسًا عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، فَإِنَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ، وَهُوَ الْقَهَّارُ لِغَيْرِهِ بِقُدرَتِهِ، فَكُلُّ شَيْءٍ خَاضِعٌ ذَلِيلٌ لَهُ.

٥ - خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا بِالْحَقِّ، يَتَصَرَّفُ فِيهِمَا كَيْفَ يَشَاءُ، يَجْعِيءُ بِاللَّيْلِ، وَيَدْهَبُ بِالنَّهَارِ، وَيَجْعِيءُ بِالنَّهَارِ، وَيَدْهَبُ بِاللَّيْلِ، وَذَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، يَجْرِي كُلُّ مِنْهُمَا فِي فَلَكِهِ بِاِنْتِظَامٍ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، تَتَحَقَّقُ بِذَلِكَ مَنَافِعُ الْعِبَادِ وَمَصَالِحُ النَّاسِ. إِنَّ اللَّهَ الَّذِي فَعَلَ هَذَهِ الْأَفْعَالِ، وَأَنْعَمَ عَلَى خَلْقِهِ بِهَذِهِ الْمُخْلُوقَاتِ، فَأَوْجَدَهَا وَسَخَّرَهَا، هُوَ الْعَزِيزُ عَلَى خَلْقِهِ، الْغَفَّارُ لِذَنْبِ عَبَادِهِ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تقرير التوحيد، وإثبات نبوة رسولنا محمد ﷺ.
- ٢ - بيان مصدر القرآن الكريم، وأنه تنزيل من حكيم حميد.
- ٣ - الإخلاص ركن الطاعة الأساس.
- ٤ - بطلان شبهة المشركين في شركهم، بأنهم يريدون مَنْ أشركوا شفعاءً يُقْرِّبونَهُمْ عند الله زُلْفِي، فالعبادة لله، والشفاعة بربنا الله وإذنه.
- ٥ - تنزيه الله عن الولد، فهو الواحد الأحد الذي لم يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ، ولم يكن له كفواً أحد.
- ٦ - إثبات قدرة الله على الخلق والتصرف بما خلق، تدليلاً على القدرة والحكمة والنعمة.
- ٧ - حركة الكون والأفلاك مقدرة الأجل، ومحددة المسار، وكلها أدلة على العزيز القهار.
- ٨ - ثبت الدراسات العلمية حتمية فناء كل من الشمس والقمر، فالشمس تفقد في كل ثانية من عمرها (على هيئة طاقة) ما يعادل ٤,٦ مليون طن من كتلتها. وقد ثبت أن الأرض تفقد من سرعة دورانها حول محورها ما يقدر بحوالي الواحد من الألف من الثانية في كل قرن من الزمان، وهذا النقص في سرعة دوران الأرض حول محورها - على ضَيْلَتِهِ - يؤدي إلى تزايد مطرد في سرعة دوران القمر حول محوره مما يدفعه إلى التبعاد عن الأرض بمعدل ثلاثة سنتيمترات في كل سنة. ويُقدَّر علماء الفلك أن هذا التبعاد التدريجي

للقمر سوف يخرجه حتماً في لحظة من اللحظات من نطاق أسر الأرض له إلى نطاق جاذبية الشمس فتبتلعه وتكون في ذلك نهايته الحتمية. ومن الحقائق الثابتة عن الأرض أنها مكورة (كرة أو شبه كرة)، ولكن نظراً لضخامة أبعادها فإن الإنسان يراها مسطحة بغير أدنى انجذاب. (آيات الإعجاز العلمي: السماء في القرآن الكريم للدكتور زغلول النجار، ص ٥٧٥ - ٥٨٨ - ٢٣١ - ٢٤٤).

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَةَ أَرْوَاحٍ
يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلْمَتِ ثَلَاثَتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ تَصْرُفُونَ ﴿٦﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّيْ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفَّارُ
وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَرْزُرُ وَارِدٌ وَرَأْرَأٌ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَتَّهِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَ الْإِنْسَنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا
خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَّ
بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾

التفسير:

٦ - خلقكم ربكم - أيها الناس - من آدم، وخلق منه زوجه، وخلق لكم من الأنعام ثمانية أنواع ذكراً وأنثى: من الإبل، والبقر، والضأن، والمعز، كما أنه يخلقكم في بطون أمهاتكم طوراً بعد طور، ومرحلة بعد أخرى، في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المшиمة. ذلكم الخالق لتلك المخلوقات في تلك الظلمات. هو الله ربكم المتفرد بالملك، والموحد بالألوهية، المستحق وحده للعبادة، فكيف تغدرُون عن عبادته، وتنصرفون إلى عبادة غيره من خلقه؟

٧ - إن تكفروا - أيها الناس - بربكم، فلا تؤمنوا به ولا برسله ولا بكتبه، فإنه غني عنكم، ليس بحاجة إليكم، بل أنتم الفقراء إليه، والضعفاء بين يديه، والله لا يرضي لعباده الكفر، ولا يأمرهم به، بل يحذرُهم منه، وإنما يرضي لهم شكر نعمته عليهم، ولا تحمل نفس إثم نفسٍ أخرى، بل تجزى كل نفس

بما كسبت، إلى الله مرجعكم ومصيركم، فيخبركم بعملكم الذي أحصاه عليكم، ويحاسبكم عليه، فهو عليم بأسرار النفوس، وما تُخفي الصدور.

٨ - وإذا أصاب الإنسان بلاءً وشدةً ومرض، تذَكَّر ربه، فاستغاث به ودعاه ورجاه، ثم إذا أجاب الله دعوته، وكَشَفَ ضُرَّهُ، وأسْبَغَ عليه نعمه، نسي دعاءه ربَّه، وكَشَفَهُ ضُرَّهُ، وأشرك معه غيره؛ ليُضِلَّ الآخرين عن الإيمان بالله، ويَصُدِّهم عن دينه، فقل له - يا محمد - مُهَدِّداً مُتَوَعِّداً: تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قليلاً من الوقت إلى حين يأتي أجلك فتموت، فإنَّك بِكُفْرِكَ وَضَالَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ الْمَعْذَبِينَ بِهَا، الْخَالِدِينَ فِيهَا.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - ينظر: صورة خلق الإنسان في الرحم، كما في الملحق.
- ٢ - تذكير الإنسان بنعم الله عليه بأطوار خلقه، وتَنوُّع الرزق.
- ٣ - قال الدكتور محمد جميل الحبَّال: «التفسير الطبي لقوله تعالى: ﴿فِي ظُلْمَكُتِي ثَلَثَةٌ﴾ وجد أن للظلمة أثراً كبيراً في نمو الجنين داخل الرحم خاصةً جهازه العصبي، فالضوء يعيق نموه وقد يسبب إتلاف شبكة العين، لذلك تكون أجفان الجنين مغلقة أيضاً ولا تُفتح إلا قبيل الولادة». وينظر: صورة الظلمات الثلاث، كما في الملحق.
- ٤ - بيان غنى الله تعالى عن خلقه، وافتقار الخلق إليه.
- ٥ - إثبات عدل الله يوم القيمة، في حُكْمِه بين خَلْقه.
- ٦ - إحاطة علم الله بخلقه في أحوالهم وأفعالهم، ظاهرها وباطنها، سرها وعلانيتها.
- ٧ - بيان معرفة الإنسان ربِّه في الشدة، وإعراضه عنه في الرخاء، بما يكشف نفسية الإنسان في تَقْلِيْه وَتَغْيِيرِه، وعدم ثباته في كثير من حالاته.
- ٨ - في الآية (٨) إخبار مستقبليٌّ عن حال الإنسان الكافر إذا أصابه بلاءً وشدةً ومرض، فإنه يتذَكَّر ربَّه، ويستغيث به ويدعوه، ثم إذا أجابه، وكشف عنه ضُرَّهُ، ومنحه نعمه، نسي دعاءه لربَّه، وأشرك معه غيره؛ ليُضِلَّ غيره عن الإيمان بالله وطاعته.

﴿ قُلْ يَعْبَادُ الَّذِينَ ءاَمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ اَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ
 وَاسْعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾١١﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾١٢﴿
 وَأُمِرْتُ لِأَنَّ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾١٣﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾١٤﴿ قُلِ اللَّهُ أَعُبُدُ
 مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾١٥﴿ فَاعْبُدُوا مَا شَاءُتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾١٦﴿ قُلْ إِنَّ الْخَسِيرِينَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ
 يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْحُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾١٧﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلْلٌ مِنْ النَّارِ وَمَنْ تَحْمِلُمْ ظُلْلٌ
 ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عَبَادُهُ يَعْبَادُ فَاقْتُلُونَ ﴾١٨﴿

التفسير:

٩ - وهذا الكافر المتمتع بكفره خير، ألم من هو عابد لربه، مطيع له، يقضى ساعات الليل في الصلاة لربه والسجود له، يخاف عذاب الآخرة، ويأمل رحمة ربها؟ قال يا محمد هل يستوي الذين يعلمون الحق، والذين لا يعلمون شيئاً؟

إنهم قطعاً لا يستوون. إنما يتذكّر المowaazin، ويعرف الحقائق، أصحاب العقول السليمة من الهوى والشبهات.

١٠ - قل - يا رسول الله - لعباد المؤمنين بربهم، المصدّقين برسوله: اتقوا ربكم بطاعته، واجتناب معصيته، فإن للذين أحسنوا في هذه الدنيا بالعبادة والطاعة والعمل الصالح النافع، لهم حسنة في الآخرة وهي الجنة، مع حسنة الدنيا من صحة ونصر ورزق وغير ذلك. وإن أرض الله واسعة، فها جروا فيها إلى حيث تبعدون ربكم، وتُقيّمون دينكم، واعلموا أن الصابرين يعطون ثواب صبرهم في الآخرة بغير حساب كثرةً ووفرة.

١١ - ١٣ - قل - يا محمد - للناس: إن الله أمرني ومنْ تبعني بإخلاص العبادة له وحده دون سواه، وأمرني أن أكون أول من أسلم من أمتي.

وقل للناس يا محمد: إني أخاف إن عصيت ربِّي فيما أمرني به من طاعته والإخلاص في عبادته عذاب يوم القيمة، ذلك اليوم العظيم بأحداته وأهواله.

١٤ - ١٥ - وقل لهم يا محمد: إني أعبد الله وحده لا شريك له، مخلصاً له في عبادي وطاعتي.

فاعبدوا أنتم - أيها المشركون - ما شئتم من دون الله من الأوثان والأصنام والمخلوقات، فلن يضرّني ذلك شيئاً، بل يضرّكم، وقل لهم: إنَّ الخاسرين حقاً هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيمة بما أشركوا بالله. إنَّ خُسْران المشركين أنفسهم وأهليهم يوم القيمة هو الخسنان البَيْن الواضح، إذ لا رِبَحَ بعده أبداً.

١٦ - أولئك الخاسرون لهم يوم القيمة عذاب عظيم حيث تغشاهم قِطْعٌ من النار من فوقهم كهيئه الظلّ عليهم، من تحتهم قطع أخرى كذلك. هذا العذاب الموصوف بما ترتعد به النفوس يُخوّف الله به عباده، ويُحذّرهم منه. فيا عبادي اتقوني بامتثال أوامرِي، واجتناب معاصيَّي؛ حتى تَسْلِمُوا من العذاب والعِقَاب.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تفضيل أهل العلم على غيرهم عند الله وعند الناس.
- ٢ - تفضيل القانت العابد على العاصي العابث.
- ٣ - وجوب التقوى والصبر على الأذى.
- ٤ - تقرير التوحيد، وتأكيد الإخلاص.
- ٥ - الخسنان الكامل هو خسنان الآخرة، حيث لا ربح بعده، أمّا خسارة الدنيا فمعوضة.
- ٦ - شدة عذاب الآخرة وتَنَوُّع ألوانه، يُخيف كل صاحب قلب حي.
- ٧ - التقوى وسيلة النجاة في الحياة الأخرى.

﴿وَالَّذِينَ أَجْتَبُوا الظَّلْعُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنابُوا إِلَى اللَّهِ هُمُ الْبَشَرِ فَبَشِّرْ عَبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَعِمُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلَمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِدُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْرَاهُمْ هُمْ عُرَفُ مِنْ فَوْقَهَا عُرَفُ مَبْيَنَهُ تَجْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْدِيغُ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِطُ فَتَرَهُ مُصْفَرَّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

التفسير:

١٧ - والذين اجتبوا طاعة الشيطان، وعبادة غير الله، وتابوا إلى

الله وأنابوا إليه بعبادته وحده، وإخلاص الدين له، لهم البشري في الحياة الدنيا بالتوفيق والهداية والثناء الحسن، وفي الآخرة بالرضوان ونعم الجنان. فبَشِّرْ - يا محمد - عبادي الذين يستمعون القول، فيتبعون أرشده وأحسنه، وأحسن ذلك كلام الله، وكلام رسوله ﷺ. أولئك هم الذين وَفَّقُهم الله للرشاد والهدي والسداد، فهداهم لأحسن الأقوال والأخلاق والأعمال، فهم أصحاب العقول السليمة القوية.

١٩ - أَفَمَنْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ كَلَمَةُ الْعَذَابِ؟ بِسَبِبِ عَنَادِهِ وَكُفْرِهِ بِآيَاتِ

ربه، فلن تُنقِدَهُ من النار، فلستَ عليه بوكيل، ولا عنه بمسؤول، إذ ارتضى الهلاك لنفسه.

لكن الذين اتقوا ربهم - بطاعته وإخلاص عبادته - لهم في الجنة غرف مبنية ببعضها فوق بعض، تجري من تحتها الأنهر، أَعْدَهَا اللَّهُ، وَوَعَدَهَا عباده المتقين وعداً متحققاً قطعاً، إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

٢١ - أَلَمْ تَرْ - يا محمد - أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَدْخَلَهُ فِي الْأَرْضِ،

وَجَعَلَهُ عَيْوَنَ نَابِعَةً، وَمِيَاهًا جَارِيَةً، ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِذَا الْمَاءِ زَرْعاً مُخْتَلِفَأَنْواعِهِ وَأَلْوَانِهِ، ثُمَّ يَبْسُسُ بَعْدَ خَضْرَتِهِ وَنَضْرَارِهِ، فَتَرَاهُ أَصْفَرَ اللَّوْنِ ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً مُتَكَسِّراً. إِنَّ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ وَالْأَطْوَارِ لَعِبْرَةً وَذَكْرَى لِأَصْحَابِ الْعُقُولِ الْحَكِيمَةِ السَّلِيمَةِ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - بشاره الله لِمَنْ تاب وَأَنَابَ، وَتَرَكَ عِبَادَةَ غَيْرِ رَبِّ الْأَرْبَابِ.
- ٢ - فضيلة التمييز بين الحق والباطل، واتباع الأحسن في الأقوال والأعمال، وَتَرْكُ ما دون ذلك، وَشَرَفُ النَّظرُ وَالاستدلالُ؛ لمعرفة الحق من الباطل، والخطأ من الصواب.
- ٣ - مَنْ وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ لَا يَمْكُنُ هُدَيَّتَهُ مِنْ أَحَدٍ مِّنَ النَّاسِ.
- ٤ - إثبات نعيم الجنة وَتَنُوعِهِ.
- ٥ - تذكير الناس بما تراه أعينهم من مظاهر قدرة الله في الخلق والإحياء، وفي الإمامة والبعث، مما هو دليل على كمال القدرة، وتَفَرُّدُ الألوهية، واستحقاق العبادة.
- ٦ - لاحظ العلماء أن أهم عناصر تترسب في النبات ولها خصائص التحطّم هي السيليكا، فالسيليكا تتوافر في النبات في صور بلورات حجرية (phytolith) وهي مكونات الزجاج، وتترسب في أماكن محددة بأوراق النبات خصوصاً نباتات ذوات الفلقة الواحدة مثل الشعير والقمح والذرة وتكون أعلى في حالة توافر الماء، حيث تصل النسبة إلى أكثر من ١٠٪ من المادة الجافة (Dry matter).

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدَرُهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَّبِّهِ وَوَيْلٌ لِّلْقَسِيَّةِ قُلُوهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾٢٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كَتَبًا مُّسَدِّهَا مَثَابًا نَقْشَرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَونَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِ ﴾٢٣﴾ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءُ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ دُوْقُوا مَا كُنُّوا تَكْسِبُونَ ﴾٢٤﴾ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنَّهُمْ أَكْذَابٌ مِّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾٢٥﴾ فَأَذَاقُهُمُ اللَّهُ الْخُرْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعِذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾٢٦﴾

التفسير:

- ٢٢ - أَفَمَنْ وَسَعَ الله صدره، فَسَعَ بقبول الإسلام والانقياد له والإيمان

به، فهو على نور من ربه، وبصيرة من أمره، كمن ليس كذلك؟ لا يُستَوون. فويل وهلاك للذين قَسَتْ قلوبهم، وأعرضت عن ذكر الله، فهم في ضلال بَيْنَ عن الحق.

٢٣ - الله عَزَّلُ هو الذي أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، الذي هو أَحْسَنُ الْحَدِيثِ؛ لأنَّه كلام الله، أَنْزَلَه مُتَشَابِهًأَ في حُسْنِه وِإِحْكَامِهِ، وَفِي لُفْظِهِ وَعَدَمِ اخْتِلَافِهِ، تُعَادُ فِيهِ الْقُضَاصُ وَالْأَحْكَامُ، وَالْحَجَجُ وَالْبَيِّنَاتُ، تَقْشُرُ مِنْ سَمَاعِهِ وَتَضْطَرِبُ جَلْودُ الَّذِينَ يَخَافُونَ رَبِّهِمْ؛ تَأْثِيرًا بِمَا فِيهِ مِنْ تَرْهِيبٍ وَوَعْدٍ، ثُمَّ تَلَيْنُ جَلْوَدُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ؛ اسْتِبْشَارًا بِمَا فِيهِ مِنْ وَعْدٍ وَتَرْغِيبٍ. ذَلِكَ التَّأْثِيرُ وَالتَّذَكُّرُ هَدَايَةٌ مِنَ اللهِ لِعِبَادِهِ. وَاللهُ يَهْدِي بِهَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ عَنِ الإِيمَانِ بِهَذَا الْقُرْآنَ بُكْفُرِهِ وَعِنَادِهِ، فَمَا لَهُ مِنْ هَادِيٍّ يَهْدِيهِ لِلَّدِينِ، وَيُوْفِقُهُ لِلْحَقِّ.

٢٤ - أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ مَغْلُولَةً يَدَاهُ، فَلَا يُسْتَطِعُ أَنْ يَتَقَى النَّارَ إِلَّا بِوْجُوهِهِ، لِكُفْرِهِ وَضَلَالِهِ، خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَنْعَمُ فِي الْجَنَّةِ؟ لِأَنَّ اللهَ وَفَقَهُ وَهَدَاهُ إِلَى تُقَاهُ؟ وَقِيلَ يَوْمَئِذٍ لِلظَّالِمِينَ: ذُوقُوا وَبَالَ مَا كَنْتُمْ تَكْسِبُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمُعَاصِي وَالْآثَامِ.

٢٥ - ٢٦ - كَذَّبُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِ قَوْمِكَ - يَا مُحَمَّدَ - رَسُلَّهُمْ، فَجَاءُهُمُ العَذَابُ مِنْ حِيثُ لَا يَشْعُرُونَ بِمَجِيئِهِ، فَأَذَاقَ اللهُ الْأُمَمَ الْمُكَذِّبَةِ الْعَذَابَ وَالْهُوَانَ فِي الدُّنْيَا، وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَشَقَّ وَأَشَدَّ فِي الْآخِرَةِ. لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا حَلَّ بِهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ لَا تَعْظُوا، وَاعْتَبِرُوا.

الفوائد والاستنباطات:

١ - في الآية (٢٢) وقف نبوي، وينظر: تفسير سورة النساء الآية (١٧٣)، وسورة الأنعام الآية (٦٥).

٢ - في الإسلام انتشار للصدر، ونور في القلب واطمئنان للنفس، واقتناع في العقل، بخلاف مَنْ قَسَّا قلبه، وضلَّ عقله، فكفر بربه.

٣ - القلوب قلبان: قلب قابل للهداية، وآخر مُعْرِضٌ عنها غير قابل لها.

٤ - القرآن أحسن الحديث؛ لأنَّه كلام الله، فيه خبرٌ ما قبلنا، ونبأ

ما بعدها، وحُكْم ما بيننا، لا تنقضي عجائبه، فهو متشابه في حسن بيانه وبلاعة ألفاظه، وإنقان أحکامه، وصدق قصصه وأخباره.

٥ - عِظَمُ تأثير القرآن الكريم فِيمَنْ يَتَلَوْنَهُ حَقُّ تِلَاوَتِهِ، وَيَخْشَوْنَ رَبِّهِمْ حَقُّ خَشْيَتِهِ.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبَ لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾٢٧﴾ فُرِئَ أَنَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوْجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَقَوَّنُ ﴾٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءٌ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا إِرْجُلٌ هُلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْصَصُونَ ﴾٣١﴾

التفسير:

٢٧ - ٢٨ - ولقد ضربنا للناس جميعاً في هذا القرآن من كل مثيل من أمثال القرون الماضية وقصصهم وأخبارهم تخويفاً وتحذيراً؛ لعلهم يتذكرون ويتعظون، فينجزروا عمّا هم مقيمون عليه من الكفر والتکذیب، وجعلنا هذا القرآن عربيّ اللسان، بلغ البیان، واضح المعانی، لا لبس فيه ولا انحراف بل غزارة معنی في وجاهة لفظ ، فلعلهم يتقوّن الله بامثال أوامرہ، واجتناب نواهیه.

٢٩ - ضرب الله عبداً مملوكاً لشركاء متنازعين مختلفين، فهو حیران في إرضائهم جميعاً، وبعداً آخر مملوكاً خالصاً لمالك واحد يعرف مراده، وما يرضيه. هل يستويان حالاً ومثلاً؟ لا يستويان، كذلك المشرك هو في حيرة وشك ، والمؤمن في يقین إیمان وراحة واطمئنان ، فالحق الكامل ، والثناء التام لله وحده ، ولكن المشرکین لا يعلمون الحق ، ولا يهتدون.

٣٠ - ٣١ - إِنَّكَ - يا محمد - ميت ، وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ . وتلك حقيقة لا تُنكر ، ثم إنكم جميعاً - أيها الناس - يوم القيمة عند ربكم تحاکمون وتخاصمون ، فیَحُكُّمُ بینکم بالحق والعدل .

الفوائد والاستنباطات:

١ - أهمية ضرب الأمثال للهداية والإفهام .

- ٢ - بيان مَثَلِ المشرك بربه، والموحّد له، فالمسرك في حيرة وشك واضطراب، والمؤمن في يقين واطمئنان وراحة بال.
- ٣ - تقرير حقيقة الموت، فهو مصير كل حي، وأن كل نفس ذاتة الموت.
- ٤ - إثبات التخاصم والتحاكم يوم القيمة بين البشر، وأن الله يحكم بين الناس بالحق والعدل فيما هم فيه مختلفون ومتنازعون.
- ٥ - الثناء على القرآن الكريم بجمال المعاني، وكمال المباني.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَوْىٌ لِّلْكَافِرِينَ ﴾٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ لِئَكَفَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأُ الدِّيَارِ عَمِلُوا وَبَخِزِّهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافِ عَبْدَهُ وَيُحِلُّ فِنَاءَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي اُنْتِقَامٍ وَلَيْسَ سَالْتُهُمْ مَمْنَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَيْشَفُنُ ضُرُّهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُسِكِنُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْنِي اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْكَلُ الْمُتَوَكِّلُونَ قُلْ يَقُومُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِنِكُمْ إِنِّي عَمِلُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيَهُ وَيَحْلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾

التفسير:

٣٢ - يُذكر الله تعالى على الذين يُكذبون على الله، ويُوبخهم: لا أحد أكثر ظلماً منهم، ولا أحد أكثر ظلماً ممَّنْ كذب بالقرآن العظيم، أليس في جهنَّم مُستقرٌ لهؤلاء المكذبين؟

٣٣ - يمدح الله تعالى النبي ﷺ والمؤمنين: والذي جاء بالحق الذي أمر الله به من توحيد وهو النبي ﷺ، والذين صدقوه واتبعوا سنته، أولئك أصحاب الدرجات العالية هم المُتقون حقاً، لهم ما يتمنون عند ربِّهم في

الجنة. ذلك المقام العالي جزاء الذين أحسنوا بأقوالهم وأفعالهم، ليغفر الله تعالى ذنوبهم، ويُثبِّتهم بالجنة على عبادتهم في الدنيا بأفضل ما كانوا يعملون.

٣٦ - ٣٧ - يُبَشِّرُ الله تعالى رسوله ﷺ بأنه حافظ له من كيد المشركين: أليس الله بكافٍ عبده ورسوله من مكرٍهم؟ ويُحَوِّلُكَ المشركون - أيها الرسول - بأصنامهم وفرسانهم. ومنْ يُضْلِلُ الله عن الحق فما له من مرشد ومعين، ومنْ يهدِه الله إلى طريق الحق فما له من مُضِلٌّ عن الحق. أليس الله بعزيز في ملکوته، ذي انتقام من المجرمين؟

٤٠ - وقسمًا إن سألت - أيها الرسول - قومك من المشركين: مَنْ أبدع هذه السموات السبع والأرضين السبع؟ قسمًا سيقولون: الله. قل لهم: أَخْبِرُونِي عَمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ غَيْرِ اللهِ، إِنَّ أَرَادَنِي اللهُ بِشَدَّةٍ، هَلْ تَسْتَطِعُ أَنْ تَكْشِفَ عَنِّي ذَلِكَ؟ أَوْ أَرَادَنِي بِخَيْرٍ هَلْ تَسْتَطِعُ أَنْ تَمْنَعَنِي؟ قل لهم: الله سُبْحَانَهُ كافِينِي، عَلَيْهِ وَحْدَهِ يَعْتَمِدُ الْمُتَوَكِّلُونَ. قل لهم: اعْمَلُوا عَلَى حَالِتِكُمُ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا، إِنِّي عَامِلٌ عَلَى مَا أَمْرَنِي رَبِّي سُبْحَانَهُ، فَسُوفَ تَعْلَمُونَ مَنِ الَّذِي يَأْتِيَهُ عَذَابٌ يُذْلِلُهُ، وَيُصِيبُهُ عَذَابُ النَّارِ الدَّائِمِ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تحريم الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ.
- ٢ - وجوب الصدق في القول والعمل.
- ٣ - جملة ﴿وَصَدَقَ بِهِ﴾ صلة موصول ممحذف، تقديره: والذي صَدَقَ به؛ لأنَّ المَصَدِّقَ غير الذي جاء بالصدق.
- ٤ - جملة ﴿أُوْتِئِكَ هُمُ الْمُتَقْوِنُ﴾ خبر عن اسم الموصول. وجيء باسم الإشارة للعناية بتمييزهم أكمل تمييز.
- ٥ - في الآية (٣٧) إخبار مستقبلٍ بأنَّ الهدایة بيد الله ﷺ، فمنْ يَهْدِه اللهُ فلا أحدٌ يَقْدِرُ أَنْ يُضِلَّهُ.
- ٦ - حماية الله تعالى لرسوله ﷺ.
- ٧ - تهديد الله تعالى بانتقامه من أعدائه، وأعداء رسوله ﷺ.
- ٨ - في الآية (٣٨) حِيَء بحرف ﴿هَل﴾ في حواب الشرط، وهي

للاستفهام الإنكاري أيضاً؛ تأكيداً لما أفادته همزة الاستفهام مع ما في **﴿هَل﴾** من إفادة التحقيق.

٤٩ - أُسند فعل **﴿يَأْتِيهِ﴾** إلى العذاب المخزي؛ لأنَّ الإتيانَ مُشَعِّرٌ بِأَنَّ يفاجئهم كما يأتي الطارق. وكذلك إسناد فعل **﴿وَيَحْلُّ﴾** إلى العذاب المقيم؛ لأنَّ الْحُلُولَ مُشَعِّرٌ بالملازمة والإقامة معهم، وهو عذاب الخلود.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَبَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنِ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾٤١﴿اللَّهُ يَتَوَفَّ الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهِمْ كَمَا وَلَقَى لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهِمْ كَمَا فِيمْسِكُ الْأَنْفُسُ قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرِسِّلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجْلٍ مُسَمٍّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ﴾٤٢﴿أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شَفَعَةً قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقُلُونَ ﴾٤٣﴿قُلْ لِلَّهِ الْسَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾٤٤﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ أَشْمَارَتْ قُلُوبُ الظَّالِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الظَّالِمُونَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشُونَ ﴾٤٥﴾

التفسير:

٤١ - إنَّا - لِمَا لَنَا مِنَ الْعَظَمَةِ الْكَامِلَةِ وَالْقَدْرَةِ الشَّامِلَةِ - أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - الْقُرْآنَ لِلْعِبَادِ بِالْحَقِّ الْوَاضِعِ الَّذِي لَا يَلْتَبِسُ بِهِ الْبَاطِلُ، فَمَنِ اهْتَدَ بِنُورِهِ فَنَفَعُهُ يَعُودُ عَلَيْهِ. وَمَنِ انْحَرَفَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ فَوَبَالُ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَسْتَ أَنْتَ بِمُوَكِّلٍ عَلَيْهِمْ؛ لِتُجْبِرَهُمْ عَلَى الْهَدَايَا.

٤٢ - اللَّهُ سَبَحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَقْبضُ الْأَنْفُسَ مِنَ الْأَبْدَانِ عَنْدَ مَوْتِهَا، وَيَتَوَفَّ الْأَنْفُسُ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا، فَيَمْسِكُ النَّفْسَ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا بِالْمَوْتِ، وَيُرِسِّلُ النَّفْسَ النَّائِمَةَ إِلَى بَدْنِهَا عَنْدَ الْيَقْظَةِ إِلَى وَقْتِ مَحْدُودٍ، هُوَ أَجْلُ مَوْتِهِ الْحَقِيقِيِّ. إِنَّ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ لَعَلَامَاتٍ عَلَى قَدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ تَدَبَّرَ.

٤٣ - يَذُمُّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ، وَيُنْكِرُ عَلَيْهِمْ إِذَا لَمْ يَتَدَبَّرُوا، بِلَ اتَّخَذُوا لَهُمْ شَفَعَاءَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ: قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ لَهُمْ: أَتَتَّخَذُونَهُمْ شَفَعَاءَ، وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا، وَلَا يَعْقِلُونَ الْعِبَادَةَ لَهُمْ؟ قُلْ لَهُمْ:

الشفاعة كلّها لله وحده، له سبحانه ملوك السموات السبع والأرضين السبع، ثم إلى مصيركم يوم القيمة للحساب.

٤٥ - وإذا قيل أمام المشركين: لا إله إلا الله، أو ذكر الله وحده دون أصنامهم، نفرت قلوبهم وانزعجت، وإذا ذكرت آلهتهم فهم يفرحون.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تعزية رسول الله ﷺ عما كان يجده من قومه من التكذيب والعناد.
- ٢ - النوم وفاة صغرى، والموت وفاة كبرى. وحياة الإنسان بين هاتين الوفاتين.
- ٣ - الفاء في ﴿فِيمِسَك﴾ فاء الفصيحة؛ لأنَّ ما تقدَّم يقتضي مقدراً تُفصِّح عنه الفاء لبيان تَوْفِي النُّفُوس في المقام.
- ٤ - أفاد تنكير ﴿شَيْئًا﴾ في سياق النفي عموم كلّ ما يُملِك، فيدخل في عمومه جميع أنواع الشفاعة.
- ٥ - الشفاعة لله وحده.

﴿قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهِدَةَ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْلُفُونَ ﴾٤٦﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمَثْلُهُ مَعَهُ لَا فَدِرَا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا تَمَّ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾٤٧﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِرُونَ ﴾٤٨﴿فَإِذَا مَسَ الْأَنْسَنَ ضُرُّ دَعَانَاهُمْ إِذَا حَوَّلَنَّهُ نِعْمَةً مِنْنَا قَالَ إِنَّمَا أُوتِتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فَتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾٤٩﴿فَقَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾٥٠﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾٥١﴿أَوْلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَسْطِعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾٥٢﴾

التفسير:

- ٤٦ - قل أيها الرسول: يا الله أنت مبدع السموات السبع والأرضين

السبع، عالِمٌ بما غاب عن المخلوقات وما يشاهدونه، أنت تحكم بين العباد فيما كانوا يختلفون فيه من أمر الدين.

٤٧ - ٤٨ - يُحذّر الله تعالى من مَغْبَةِ الكفر وعقابه المتحقّق: لو أنَّ لهم كلَّ ما في الأرض من كنوز وضياعه زيادة عليه؛ ليفتدوا به من شدَّة العذاب يوم القيمة، ما تُقْبِلُ منهم، وتَكَشَّفُ لهم حينئذٍ من أنواع العذاب الذي لم يكونوا يتوفّعون به. وظهر لهم يوم القيمة جزاء الجرائم التي ارتكبواها، وأحاط بهم العذاب عقاباً على سخريتهم برسولهم.

٤٩ - ٥١ - فإذا أصاب الإنسان بؤس دعانا مستغيثاً بنا، ثم إذا كشفنا عنه الكرب قال: إنَّما أُعطيت هذا الفرج على عِلمٍ من الله بأنِّي مستحق ذلك. وليس الأمر كما يَظُنُّون بل هو اختبار من الله تعالى؛ لينظرَ مَنْ يشكِّره ممَّن يكفره، ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون أنَّ ذلك الفرج اختبار، قد قال مقالتهم هذه الأُممُ المكذبة السابقة، فلم يُغْنِ عنهم حين أتاهم العقاب ما كانوا يكسبون من متع الدنيا الزائل، فأصابهم ضرر جرائمهم التي ارتكبواها، والذين ظلموا أنفسهم بالكفر من قومك - أيُّها الرسول - سيصيّبهم أيضاً العقاب كسابقيهم، وما هم بُمُفلتين من عقاب الله.

٥٢ - أ ولم يعلم هؤلاء المشركون أنَّ الله يُوسِّع الرزق على قوم، ويُضيّقه على آخرين؟ فليس أَمْرُ الرزق دليلاً على صلاح حال صاحبه، وإنَّما هو اختبار واستدراج. إنَّ في ذلك الأمر العظيم لَدَلَائِلَ ساطعةً لقوم مؤمنين بالله ورسوله ﷺ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - يُعلَّم الله ﷺ المؤمنين كيفية الدعاء، واللجوء له ﷺ.
- ٢ - العدول عن الإضمار إلى الاسم الظاهر في قوله: ﴿بَنِ عَبَادَكَ﴾ دون أن يقول: بينما، لما في ﴿عَبَادَكَ﴾ من العموم؛ لأنَّه جمع مضاد؛ فيشمل الحكمَ بينهم في قضيتهم هذه، والحكمَ بين كل مختلفين.
- ٣ - وجوب اللجوء إلى الله عند اشتداد الكرب والمصائب، وذلك بدعائه والتضرع إليه.

- ٤ - سُنَّةُ اللهِ مِعاقبةُ الْكَافِرِينَ وَالظَّالِمِينَ عَلَى جَرَائِمِهِمْ، عَلَى اختلاف زمانهم ومكانهم، وهم لا يَعْلَمُونَ اللهَ، ولا يُعْجِزُونَهُ.
- ٥ - ينبغي أَحْدُ الْمَوْعِدَةِ مِنْ عَاقِبَةِ الظَّالِمِينَ ظَلَمُوا، وَمِنَ الظَّالِمِينَ فُتِنُوا، ثُمَّ دُمِرُوا.

﴿ قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا نَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾٥٣﴾ وَأَنْبَيْوْا إِلَيْ رَبِّكُمْ وَاسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرُوْنَ ﴾٥٤﴾ وَأَنْبَيْوْا أَحَسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعْثَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾٥٥﴾ أَنْ تَقُولُ نَفْسٌ بِخَسْرَانِ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّارِخِينَ ﴾٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَنِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُسَقِّينَ ﴾٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾٥٨﴾ بَلْ قَدْ جَاءَكَءَ اِيْتِيَ فَكَذَّبَتَهَا وَاسْتَكْبَرَتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكُفَّارِينَ ﴾٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ اللَّهِ وَجْهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مُؤْمَنَ لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾٦٠﴾ وَيَسْعِيَ اللَّهُ الَّذِينَ أَتَقْوَى بِمَقْارِنِهِمْ لَا يَمْسِهِمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ ﴾٦١﴾

٥٣ - ٥٤ - سبب النزول:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمداً صلوات الله عليه فقالوا: إن الذي تقول وتدعوه إليه لحسن، لو تخبرنا أنّ لما عملنا كفارة. فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ بِمَعِ اللَّهِ إِلَاهًاٰ أَخْرَ وَلَا يَقْتُلُونَ الْفَسَدَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرْتَفُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، ونزل: ﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا نَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾. (صحيف البخاري ٤١١ / ٨ برقم ٤٨١٠ - كتاب التفسير، سورة الزمر، صحيح مسلم ١١٣ / ١ برقم ١٢٢ - كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله).

عن عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نقول: ما لمفتتنْ توبة وما الله بقابل منه شيئاً، فلما قدم رسول الله صلوات الله عليه المدينة أُنزِلَ فيهم: ﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا نَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ﴾

الرَّحِيمُ^{وَ} والآيات التي بعدها . قال عمر : فكتبتها فجلست على بعيري ، ثم طفت المدينة ، ثم أقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن الله له في الهجرة وأصحابه من المهاجرين ، وقد أقام أبو بكر ؓ ينتظر أن يؤذن لرسول الله ﷺ فيخرج معه .

(آخرجه الحاكم وصححه وافقه الذهبي (المستدرك ٤٣٥ / ٢)، وأخرجه الضياء المقدسي في (المختارة ٣١٧ / ١ - ٣١٩ برقم ٢١٤ - ٢١٢)، وعزاه الحافظ ابن حجر إلى ابن السكن في كتاب الصحابة بسنده صحيح (الإصابة ٥٧٢ / ٣).

التفسير:

يُبَشِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُسْرِفِينَ الْمُذَنبِينَ بِسَعَةِ كَرْمِهِ وَرَحْمَتِهِ . قَلَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - وَمَنْ قَامَ مَقَامَهُ مِنَ الدُّعَاءِ لِعِبَادِي الَّذِينَ أَكْثَرُوا مِنَ الْمُعَاصِي : لَا تَيُّسُّوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ . إِنَّهُ سَيَحْانُهُ يغفر الذنوب كلّها ، إِنَّهُ حَقًا هُوَ الغفور لِذنوب عباده التائبين ، الرَّحِيمُ بِهِمْ ، وَأَقْبَلُوا - أَيُّهَا الْعِبَادُ - إِلَى رَبِّكُمْ بِالْتَّوْبَةِ وَالطَّاعَةِ ، وَأَدْعَنُوا لَهُ بِإِخْلَاصٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمُ الْعِقَابَ ، ثُمَّ لَا يَنْصُرُكُمْ أَحَدٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ .

٥٥ - ٥٦ . وَاتَّبِعُوا - أَيُّهَا الْعِبَادُ - أَفْضَلَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ، وَالْعَمَلُ بِأَحْكَامِهِ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْجُأَكُمُ الْعَذَابُ وَأَنْتُمْ غَافِلُونَ عَنْهُ ؛ لَئَلَّا تَقُولُ بَعْضُ النُّفُوسِ الَّتِي أَسْرَفَتْ فِي الذَّنَوبِ : يَا نَدَامَتِي عَلَى ارْتِكَابِ الْمُعَاصِي فِي حَقِّ اللَّهِ ، وَإِنِّي كُنْتُ لِمَنِ السَّاخِرِينَ بِدِينِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا .

٥٧ - ٥٩ . أَوْ تَقُولُ تَلْكَ النُّفُسُ الْمُسْرِفَةُ فِي الذَّنَوبِ : لَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هَدَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ ؛ لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لِلَّهِ بِطَاعَةِ أَوْاْمِرِهِ ، وَاجْتَنَابَ نَوَاهِيهِ . أَوْ تَقُولُ وَقْتُ رَؤْيَاةِ الْعِقَابِ : لَيْتَ لِي رَجْعَةٌ إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، فَأَكُونُ فِيهَا مِنَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ . بَلِيْ قَدْ جَاءَتِكَ آيَاتِي الْمُسْمُوَعَةُ وَالْمَرْئِيَّةُ قَطْعًا ، فَكَذَّبَتْ بِهَا ، وَتَكَبَّرَتْ عَنِ الإِيمَانِ بِهَا ، وَكُنْتُ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى .

٦٠ - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ فِي الْأَحْكَامِ وَالْاعْتِقَادِ ، وَجُوهُهُمْ مَسُودَةٌ ، أَلِيْسَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ مُسْتَقْرٌ لِلْمُتَكَبِّرِينَ عَلَى الْحَقِّ ؟

٦١ - وَيُنْجِي اللَّهُ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ الَّذِينَ أَطَاعُوا اللَّهَ ، وَاجْتَنَبُوا نَوَاهِيهِ ، بِسَبِّبِ

فَلَا حِجْمَ بِالْجَنَّةِ، لَا يَنْالُهُمْ أَذى، وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ حَطَامِ الدُّنْيَا.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - البشرى للمذنبين أن الله يغفر جميع ذنوبهم ، إذا تابوا منها .
- ٢ - الأمر بالتوبة إلى الله تعالى .
- ٣ - الأمر بالتزام أحكام القرآن الكريم .
- ٤ - التحذير من مصير الذين لم يأخذوا بأمر الله تعالى .
- ٥ - بيان مصير المكذبين ، وسواد وجوههم يوم القيمة .
- ٦ - البشرى بنجاة المتقين من النار في الآخرة .

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَيْلٌ ﴾٦٢﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّيْتُ اللَّهَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾٦٣﴿قُلْ أَفَعَيْرَ اللَّهَ تَأْمُرُونِيْ فَأَبْعُدُ أَيْمَانًا
الْجَهَلُونَ ﴾٦٤﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِي حَبْطَنَ عَمْلَكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴾٦٥﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾٦٦﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ
جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتُ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
يُشَرِّكُونَ ﴾٦٧﴿وَنُفَخَّ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى
نُفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾٦٨﴿وَأَشَرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ
وَجَاءَهُ بِالْتَّيَّكَنَ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾٦٩﴿وَوُفِيتَ كُلُّ نَفْسٍ مَا
عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾٧٠﴾

التفسير:

- ٦٢ - الله سبحانه خالق جميع الأشياء ، وهو القائم بتدبيرها ، له مفاتيح خزائن السموات السبع والأرضين السبع ، والذين كذبوا بآيات الله المسموعة أو المشاهدة ، أولئك البعداء عن رحمة الله ، هم الخاسرون في الدنيا والآخرة .

٦٤ - قل - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لِلْمُشْرِكِينَ مُوَبِّخًا لَهُمْ : هَلْ تَأْمُرُنِي أَنْ أَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْمُعْبُودِ بِحَقٍّ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ؟ وَقَسْمًا لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ : وَاللَّهُ - إِنْ أَشْرَكْتَ أَيْهَا إِنْسَانًا بِعِبَادَةِ اللَّهِ غَيْرِهِ - لِيُبْطِلَنَّ عَمْلَكَ قُطْعًا ، وَلِتَكُونَنَّ حَقًّا مِنَ الْخَاسِرِينَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، بَلْ أَخْلِصِ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَكُنْ مِنَ الشَاكِرِينَ اللَّهُ يَعْمَلُ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ .

٦٧ - يَذُمُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْيَهُودِ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُمْ مَا عَظَمُوا اللَّهَ تَعَالَى حَقًّا تَعْظِيمَهُ ، إِذْ أَشْرَكُوا مَعَهُ غَيْرَهُ ، وَسَاوَرُوا الْخَالِقَ بِالْمُخْلُوقِ ، وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي قَبْضَتِهِ سُبْحَانَهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَوَاتُ السَّبْعُ مُجْمُوعَةٌ بِيَمِينِهِ ، تَنْزَهُ وَتَقَدَّسُ عَمَّا يَصْفُهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ .

عن عبد الله بن مسعود رض قال: جاء حَبْرٌ من الأَحْبَارِ إلى رسول الله صل فقال: يا محمد، إننا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا المَلِكُ. فضحك النبي صل حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحَبْرِ، ثُمَّ قرأ رسول الله صل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبَضَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَلَّمَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ .
صحيح البخاري ٤١٢/٨ برقم ٤٨١١ - كتاب التفسير - سورة الزمر، باب الآية. وصحيح مسلم ٢١٤٧/٤ - كتاب صفة القيامة والجنة والنار نحوه).

٦٨ - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى مَا شَاهَدَ عَظِيمَةً مِنْ أَحْوَالِ الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْآيَاتِ الثَّمَانِ الْآخِرَةِ : وَنَفَخَ الْمَلَكُ فِي الْقَرْنِ النَّفْخَةِ الْأُولَى ، فَمَا كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ بِقَاءَهُ حَيًّا ، ثُمَّ نَفَخَ الْمَلَكُ فِي الْقَرْنِ نَفْخَةً ثَانِيَةً لِلْبَعْثِ ، فَجَأَهُ يَقُومُ النَّاسُ عَلَى أَرْجُلِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ يَنْظَرُونَ : مَاذَا يُؤْمِرُونَ .

٦٩ - وَأَضَاءَتِ الْأَرْضُ حِينَ يَتَجَلَّ اللَّهُ تَعَالَى لِحِسَابِ الْخَلَائِقِ ، وَأَحْضَرَتِ صَحَافَتِ أَعْمَالِهِمْ ، وَجَيَءَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالشَّهَدَاءِ عَلَى الْأَمْمِ ، وَقُضِيَ اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ كُلِّهِمْ بِالْعَدْلِ ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، فَيَأْخُذُ كُلُّ عَبْدٍ حَقَّهُ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍ .

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - التحذير من الكفر ومكايده الكفار.
- ٢ - الإشارة إلى رجوع السموات كتلة واحدة.
- ٣ - القضاء بين الخالق بالعدل بحضور الأنبياء والشهداء.
- ٤ - الشرك محبط للعمل، فلا يُقبل معه عملٌ مهما كان.
- ٥ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «ما بين النفختين أربعون. قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، ويَبْلِي كل شيء من الإنسان، إلا عجبَ ذَنْبِه، فيه يُرَكَّبُ الْخَلْقُ». (صحيف البخاري ٤١٣/٨ برقم ٤٨١٤ - كتاب التفسير - سورة الزمر، باب الآية، وصحيف مسلم ٤/٢٢٧٠ - كتاب الفتن، باب ما بين النفختين).

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمْ زُمْرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتُحِتَ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتَلوُنَ عَلَيْكُمْ أَيَّتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكُنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَدَابِ عَلَى الْكُفَّارِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَئُوْيَ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ أَتَقْوَاهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمْرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَقَالُوا وَفُتُحِتَ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَهَا سَلَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْمٌ فَادْخُلُوهَا خَلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنَعَمْ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَيِّحُونَ رَحِيمٌ وَّفُضَّيْ بَنِيهِمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

التفسير:

- ٧١ - ٧٢ - وَحُشِرَ الْكُفَّارُ بِالضَّربِ وَالإِهانَةِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ جَمَاعَاتٍ. حتى إذا وصلوا إليها فُتُحِتَ أَبْوَابُها السَّبْعَةِ، وَقَالَ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْخَزَنَةُ مُؤْبَخِينَ لَهُمْ: أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ يَتَلوُنُ عَلَيْكُمْ، وَيُنذِرُونَكُمْ مِّنْ هَذَا الْيَوْمِ

العصيب؟ قالوا: بلى. ولكن وَجَبَتْ كلمة العذاب على الكافرين بسبب جرائمهم، وقيل لهم: ادخلوا أبواب جهنم المفتوحة ماكثين فيها على الدوام. فبئس المستقر الدائم نارُ جهنم للمتكبرين على اتباع الحق.

٧٣ - ٧٤. وَحُشِرَ المتقون لرَبِّهِم إِلَى الْجَنَّةِ جماعاتٍ مُّكْرَمِينَ، حتى إذا وصلوا إليها فُتُّحت أبوابها الشمانية بتحية طيبة من الملائكة الخزنة: سلام عليكم من كل شرٍّ، طابت نفوسكم وأحوالكم، فادخلوا الجنة ماكثين فيها على الدوام، وقالوا: الحمد لله الذي أنسن لنا وعده بالثواب في سكن الجنة، ننزل فيها حيث نشاء، فنعم ثوابُ العاملين بطاعة الله الجنة.

عن عاصم بن ضمرة قال: سمعت علياً يقول: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ أَتَقَوْ رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ حتى إذا انتهوا إلى باب من أبواب الجنة، وجدوا عند بابها شجرة تخرج من تحت ساقيها عينان، فإذا تناولوا إحداهما كأنما أمروا بها، فيتطهرون فيها، فتجري عليهم نسراً من النعيم، قال: فلا تتعَبَّرُ أبشارهم بعدها أبداً، ولا تشتعل شعورهم بعدها أبداً، كأنما دهنوها، قال: ثم يعمدون إلى الأخرى فيشربون منها، فتدهب ما في بطونهم من أذى وقدى، وتتلقاءهم الملائكة فيقولون: ﴿سَلَمٌ عَلَيْكُمْ طَبَّتْ فَادْخُلُوهَا خَلِيلِينَ﴾ قال: ويتلقى كل غلمان صاحبهم يطوفون به، فعلل الولدان بالحميم يقدم من الغيبة، يقولون: أبْشِرْ قد أعدَ الله لك من الكرامة كذا، ويسبق غلمان من غلمانه إلى أزواجه من الحور العين فيقولون: هذا فلان - باسمه في الدنيا - قد أتاكنَّ، قال: فيقلنَّ: أنتم رأيتموه؟ فيقولون: نعم، قال: فيستخفُّنَّ الفرح، حتى يخرج إلى أسكفة الباب، قال: ويدخل الجنة، فإذا نمارق مصفوفة، وأكواب موضوعة، وزرابيٌّ مبثوثة، فيتكئ على أريكة من أرائكه، قال: فينظر إلى تأسيس بنائه، فإذا هو قد أسس على جندل اللؤلؤ، بين أصفر وأحمر وأخضر ومن كل لون. (أخرجه ابن أبي شيبة بسنده حسن عنه، المصنف ٧٤/٨).

٧٥. وترى - أيها الرسول - الملائكة مُحيطين بعرش الرحمن من كل جانب يلهجون بالتسبيح بحمد ربِّهم، وقضى بين العباد بالعدل، وختم القضاء بقول: الحمد لله ربُّ العالمين على ذلك القضاء العادل.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - الإشارة إلى أبواب جهنم وعدها سبعة.
 - ٢ - بيان حوار ملائكة العذاب مع الكفار في جهنم.
 - ٣ - بيان الفرق بين المصيرين والخلودين.
 - ٤ - الإشارة إلى بركة استغفار حَمَّة العرش للمؤمنين.
- 